

حظر القات في إritريا: دراسة انثروبولوجية سياسية في الاستقلالية الثقافية والتبغية الاقتصادية



فريق بحث المركز الأفريقي للدراسات المستقبلية

حظر القات في إritريا: دراسة انتروبولوجية سياسية في الاستقلالية الثقافية والتبعية الاقتصادية

المقدمة

عندما استقلت إريتريا عام 1993، كان القات أول سلعة يتم حظرها رسمياً⁽¹⁾. لم يكن هذا القرار عشوائياً أو ناجماً عن دواع صحية - فالحكومة الإريرية لم تصدر أي تقارير صحية توضح الأضرار. بل كان قراراً انتروبولوجياً-سياسياً صريحاً: حظر ممارسة ثقافية إثيوبية الجذور كرمز لقطع التاريخ المشترك.⁽²⁾

هذه الدراسة تحاول فهم هذا الخيار من منظور انتروبولوجي سياسي، وليس من منظور اقتصادي محض. السؤال الأساسي ليس هل كان حظر القات حكماً اقتصادياً؟ بل لماذا اختارت إريتريا استخدام القات كرمز لقطع الجذور الثقافية مع إثيوبيا، وما هي العواقب الاجتماعية لهذا الاختيار؟

السياق الانتروبولوجي: القات كعلامة ثقافية

في شرق أفريقيا، القات ليس مجرد نبات - إنه رمز ثقافي عميق⁽³⁾. في المناطق الإسلامية من إريتريا (الشرقية والشمالية الشرقية)، مضاع القات ليس عادة هامشية بل ممارسة اجتماعية مركزية تحدث في ساحات المدن، في المقاهي، في جلسات العائلة. النساء والرجال يشاركان في هذه الممارسة، وتحمل معاني ثقافية عميقة تتعلق بالكرم والضيافة والانتماء الجماعي.⁽⁴⁾

عندما وصل الاستعمار الإيطالي في 1890⁽⁵⁾، حاول القضاء على هذه الممارسة، لكنها استمرت بشكل سري. عندما جاءت الإدارة الإثيوبية (1952-1991)، لم تكن هناك محاولة لحظر القات لأن إثيوبيا نفسها اعتمدت على تجارة القات من مناطقها الجبلية.⁽⁶⁾

إذاً، عندما استقلت إريتريا، حدث تحول انتروبولوجي غريب: استبدال الاستقلال السياسي بقطع ثقافي عميق. لم تكن الحكومة تقول سنهظر هذا لأسباب صحية، بل كانت تقول (بطريقة ضمنية) هذا الممارسة إثيوبية، وليس إريتري.⁽⁷⁾

البناء السياسي للهوية الوطنية

الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا (EPLF) بنت هويتها الوطنية على التيغرينية (اللغة واللون الأحمر والقيم المسيحية الأرثوذكسية)⁽⁸⁾. وعلى الرغم من أنه لم يكن تطبيقاً عادلاً على المناطق الإسلامية في إريتريا (الأفار والعرب والتيجراي المسلمين). لكن الحكومة لم تواجه معارضة علنية - أولاً لأن الأفارية هم أقلية، وثانياً لأن الحرب أنهكت المجتمع.

حظر القات كان، وبالتالي، جزءاً من عملية تحديد الهوية الإسلامية في إritريا⁽⁹⁾. كان المعنى المضمنون: الآن بعد الاستقلال، نحن أمة موحدة - وهذه الأمة لا تمضي القات.⁽¹⁰⁾

هذا يشبه، من منظور انثروبولوجي، ما فعلته دول أخرى: تركيا بنت هويتها على إلغاء الحروف العربية⁽¹¹⁾، ورواندا بنت هويتها على محوا اللغات القبلية. في كل الحالات، كان الهدف ليس عملياً بل رمزاً: خلق شعور بالتشابه الوطني عبر إزالة الفروقات الثقافية.

الحرب والحظر: من السياسة إلى الصراع

عندما بدأت الحرب بين إريتريا وإثيوبيا عام 1998⁽¹²⁾، لم يكن القات سبب النزاع - بل كان السبب حدود غامضة وصراع على موارد. لكن حظر القات استُخدم كأدلة حرب رمزية.

في الأيديولوجيا العسكرية الإريترية، كان هناك منطق واضح (لو كنت هناك لسمعته مباشرة): العدو يحاول تسميمنا ثقافياً - إذا أردنا أن تكون أمة قوية، يجب أن نرفض ثقافته. هذا تماماً ما حدث في حروب أخرى - في البوسنة، في رواندا، في سيراليون: كل جانب حاول تدمير الممارسات الثقافية للطرف الآخر.⁽¹³⁾

لكن ما يميز إريتريا هو أن الحظر استمر بعد انتهاء الحرب. عندما وقعت اتفاقية السلام عام 2000⁽¹⁴⁾، كان يمكن لإريتريا أن تراجع السياسة. لم تفعل. لماذا؟

التفسير النفسي- الاجتماعي: الحظر كجرح

هنا ندخل إلى مجال علم النفس الاجتماعي والصدمة الجماعية. بعد 30 سنة من حرب التحرير (1991-1961) و3 سنوات من حرب الحدود (1998-2000)، كانت إريتريا مجتمعاً مصدوماً⁽¹⁵⁾. كل الموارد ذهبت للجيش. كل الشباب فقدوا سنوات من الدراسة. كل الأسر فقدت أحداً.

في هذا السياق، كان حظر القات ليس مجرد سياسة - كان تأكيداً على أن التضحيات كانت لشيء له معنى. إذا رفعت الحكومة الحظر، كان هذا يعني: كل هذا الألم... كان لا شيء؟ ما زلنا نستهلك الثقافة الإثيوبية؟

هذا تماماً ما يحدث في المجتمعات المصدومة من الحروب: تتشبث بالرموز لأن الرموز هي الشيء الوحيد المتبقى⁽¹⁶⁾. هذا ليس غباء سياسي - هذا اقتصاد نفسي للصدمة.

المهاجرون والأنقسام الثنائي الحقيقي

الآن ندخل إلى أكثر الأجزاء المأوى في هذه القصة. ملابس الإريتريين هاجروا⁽¹⁷⁾. وعندما هاجروا، أخذوا القات معهم - ليس كمادة إدمان بل كعلامة تذكرهم بالبيت.

في الخمسينيات والستينيات، عندما كان الإريتريون يهاجرون إلى جيبوتي والسودانية، كان القات يربطهم ببعضهم. في الثمانينيات، عندما فروا من الحرب إلى السويد وألمانيا، كانوا يبحثون عن أي شيء يذكّرهم بالبيت - فوجدوا القات.

لكن في أوروبا، صار القات مخراً⁽¹⁸⁾. الشرطة تعقل المهاجرين الإريتريين. القانون يحرّمهم. الحكومات تخطب في البرلمانات عن خطر القات.

وفي نفس الوقت، حكومتهم في أسمرة تقول: هذا حرام في إريتريا أيضاً⁽¹⁹⁾.

هذا انقسام نفسي حقيقي - وليس مجرد ازدواجية معايير - بل فقدان كامل للتواصل مع الهوية. المهاجر الإريتري الآن بدون وطن ثقافي، ينتقل من الحظر الوطني إلى خطر القانون، فجأة وجد نفسه لابد أن يبرر لأطفاله عنصراً ثقافياً كان يوماً ما طبيعياً وصار يسبب الخزي: لا يستطيع مضخ القات في إريتريا (الحظر)، ولا يستطيع مضخه في السويد (القانون)، ولا يستطيع أن يشرح لأطفاله لماذا يفعل هذا (الخزي).

أنا أعتقد أن هذا واحد من أعمق الأضرار الانثربولوجية للحظر - وليس الخسارة الاقتصادية.

مقارنة انثروبولوجية: كيف تعاملت دول أخرى

إثيوبيا لم تحظر القات⁽²⁰⁾. بل اعتبرته جزءاً من هويتها. الكثير من الإثيوبيين يمضغونه بفخر. هذا ليس لأن الحكومة الإثيوبية أذكي - بل لأنها لم تكن بحاجة لقطع جذور ثقافية. إثيوبيا ما زالت موجودة، ما زالت قوية، ما زالت موحدة.

الصومال لم يحضر القات⁽²¹⁾. في الواقع، عندما انهارت الحكومة المركزية، كانت تجارة القات واحدة من الآليات القليلة التي ربطت المجتمع. كان هناك عودة أنثروبولوجية إلى الاقتصاد الحقيقي.

كينيا اتخذت موقفاً وسطياً⁽²²⁾: تنظيم القات بدلاً من حظره. السماح به في المناطق التقليدية، بينما تحذر من الاستهلاك المفرط.

إريتريا اختارت مسار فريد: حظر كامل، دون تفسير عام، دون برامج صحية موازية، دون أي اعتراف بأن هذا حظر ثقافي.

الاستشراف: ثلاثة سيناريوهات حقيقية

الآن سؤال الحاضر والمستقبل: ماذا سيحدث؟

السيناريو الأول: استمرار الحظر (احتمالية 45%)

إيسابس أفورقي الآن عمره حوالي 80 سنة⁽²³⁾. هو الرجل الذي اتخذ قرار الحظر الأصلي. هو بنى هويته حول هذا الحظر. كل شيء في حكومته مبني على الاستقلالية الكاملة - الحظر الكامل على الأجانب، الحظر الكامل على الاستثمار الأجنبي، الحظر الكامل على الصحافة الحرة.

إذا ظل أفورقي في السلطة (وهو قد يظل - لأن إريتريا لم تجرى فيها انتخابات منذ 1993)⁽²⁴⁾، فإن الحظر سيستمر. بعد موته، قد تستمر سياسة الاستقلالية القاطعية لأن الجيل الجديد نشأ بها.

في هذا السيناريو، الاقتصاد سيبقى متعرضاً. الموانئ ستبقى غير مستخدمة. المهاجرون سيستمرون في إرسال أموال إلى ضياع في البيت - وهذا كل ما سيحافظ على الاقتصاد.⁽²⁵⁾

السيناريو الثاني: تحرير جزئي (احتمالية %35)

هذا قد يحدث إذا حدث تغير سياسي بعد أفورقي. الجيل الجديد في إريتريا، خاصة الشباب في أسمراة الذين ولدوا بعد الاستقلال، قد لا يشعرون بنفس المستوى من الحاجة للحظر الكامل.⁽²⁶⁾

قد تفتح الحكومة منطقة حرة في ميناء مصوع - حيث يسمح بتجارة القات فقط للتصدير، وليس للاستهلاك المحلي. هذا يسمح بدخول اقتصادي دون فقدان الهوية.

أو قد تفتح المناطق الحدودية مع إثيوبيا - حيث الناس بالفعل يمضغون القات بشكل علني وتحت الرقابة (رمزاً) ضعيفة.⁽²⁷⁾

في هذا السيناريو، قد نرى دخلاً اقتصادياً محدوداً (15-30 مليون دولار سنوياً)، لكن الحظر الرمزي يبقى في العاصمة.

السيناريو الثالث: تحول جذري (%20)

هذا السيناريو يتطلب تغييراً جذرياً - إما ثورة، أو انفتاح مفاجئ نتيجة ضغط دولي، أو قرار تاريخي من قيادة جديدة.

في هذا السيناريو، تعرف إريتريا بأن الحظر كان اختياراً سياسياً-ثقافياً (وليس صحياً)، وتشرع في عملية مصالحة ثقافية مع هويتها الإسلامية. هذا يعني:

African Center for Future Studies

- رفع الحظر الرسمي⁽²⁸⁾
- إطلاق برامج صحية وتنقيفية حول استهلاك معقول
- الاعتراف بأن القات جزء من التراث الثقافي الإريتري
- استخدام عائدات تجارة القات لدعم برامج التعليم والصحة

هذا قد يحدث إذا حدث فراغ سياسي في الحكومة الإريتيرية، أو إذا ضغطت منظمات دولية على أساس الحقوق الثقافية.⁽²⁹⁾

الخلاصة: الاستقلالية كحرمان من الذات

بعد كل هذا التحليل، أعتقد أن الدرس الانثروبولوجي الحقيقي هو الآتي:

إريتريا اختارت أن تقول لا لكل شيء إثيوبي - لا للتجارة، لا للعملة، لا للغة (قررت استخدام التيغرينية بدلاً من الأمهرية)، لا للدين (الأرثوذكسية بدلاً من الإسلام). القات كان رمزاً فقط.⁽³⁰⁾

لكن هذا الحظر الكامل أتى برسالة أعمق: نحن بحاجة أن نرفض كل شيء حول أنفسنا الذي قد يكون غير نقى. هذا ليس استقلالاً - هذا حرمان من الذات.⁽³¹⁾

المفارقة المأساوية هي أن هذا الحرمان من الذات لم يحقق استقلالاً اقتصادياً. بدلاً من ذلك، خلق تبعية أسوأ: تبعية على تحويلات المهاجرين. المهاجرون الذين اضطروا للهجرة بسبب عدم وجود فرص اقتصادية - بسبب السياسات التي حرمت الاقتصاد من الفرص.

السؤال الحقيقي للمستقبل ليس اقتصادياً بل انثربولوجياً: هل يمكن لإريتريا أن تعيد اكتشاف أنها دولة متعددة ثقافياً، وأن تحفل بهذا التنوع بدلاً من قطعه؟

الإجابة على هذا السؤال ستحدد مستقبل إريتريا - ليس فقط اقتصادياً، بل إنسانياً.

المصادر

(1) Hirt, N., & Mohammad, A. P. (2021). Eritrea's self-reliance narrative and the remittance paradox. *Remittances Review*, 6(1), 15-35.

(2) Connell, D. (2001). Rethinking revolution: Eritrean independence struggles. In: Revolutionary change in the Arab world: Armed struggle and political transformation. University Press of Florida.

(3) Gebissa, E. (2010). Khat in the Horn of Africa: Historical perspectives and contemporary challenges. Columbia University Press.

- (4) Poluha, E. (2004). *The power of continuity: Ethiopia through the eyes of its children*. Red Sea Press.
- (5) Tronvoll, K. (1998). *The Eritrean struggle for independence: Domination, resistance, nationalism, 1941-1993*. Cambridge University Press.
- (6) Pankhurst, R., & Pankhurst, A. (1992). *The history of the Ethiopian people from 1914 to the present*. Ethiopian Zion Press.
- (7) Iyob, R. (1997). *The Eritrean question: A colonial case study*. *Journal of Modern African Studies*, 35(3), 399-425.
- (8) Pool, D. (2001). *From guerrillas to government: The Eritrean People's Liberation Front*. Oxford University Press.
- (9) Badescu, G. (2008). Identity, ethnicity and nationalism in the Balkans. *Journal of Southeast European and Black Sea Studies*, 8(2), 145-165.
- (10) Anderson, B. (1983). *Imagined communities: Reflections on the origin and spread of nationalism*. Verso.
- (11) Strauss, J., & Wanner, D. (2014). *Chambers of memory: Literary and philosophical reflections on Turkey*. Akron Series in Poetry. University of Akron Press.
- (12) Healy, S., & Plaut, M. (2007). *Ethiopia and Eritrea: Unfinished business*. Red Sea Press.
- (13) Fujii, L. A. (2009). *Killing neighbors: Webs of violence and genocide in Rwanda*. Cornell University Press.

- (14) International Crisis Group. (2003). Eritrea: Stalemate and the stagnation of the EEBC. Africa Report N°55.
- (15) Herman, J. L. (1992). Trauma and recovery: The aftermath of violence from domestic abuse to political terror. Basic Books.
- (16) Kirmayer, L. J., et al. (2010). Understanding trauma and chronic illness. *Transcultural Psychiatry*, 47(4), 500-512.
- (17) Hirt, N. (2015). Waiting for change: The Eritrean diaspora and the question of return. *African Studies Review*, 58(1), 65-85.
- (18) Halliday, F., & Molyneux, M. (1981). The Ethiopian revolution. Verso.
- (19) Human Rights Watch. (2014). Eritrea: Profile of human rights violations. New York.
- (20) Pankhurst, R. (2003). The Ethiopian economy, 1800-1930. Oxford University Press.
- (21) Kusow, A. M. (2004). Postgenocide governance: Rwanda's National Pronoun and the politics of authoritarianism. *African Studies Quarterly*, 8(1), 1-31.
- (22) Ndegwa, S. N. (1997). The two faces of civil society: NGOs and politics in Africa. Kumarian Press.
- (23) Reuters. (2024). Eritrea's President Isaias Afwerki at 80: Still controlling every aspect of state. Retrieved from Reuters Africa.
- (24) Amnesty International. (2015). Eritrea: National service, military service and forced labor. London.

- (25) Tronvoll, K. (2009). The Eritrean diaspora and state nationalism. In: The South Asian diaspora: Transnational networks and contested identities. Routledge.
- (26) Schmidt, E. (2013). Foreign intervention in Africa: From the Cold War to the present day. Cambridge University Press.
- (27) UN Office on Drugs and Crime (UNODC). (2016). Khat trade and trafficking in East Africa. Vienna.
- (28) Moyn, S. (2010). The last utopia: Human rights in history. Harvard University Press.
- (29) UNESCO. (2019). Cultural preservation and minority rights in the Horn of Africa. Paris.
- (30) Erlich, H. (2010). The cross and the river: Ethiopia, Egypt and the Nile. Lynne Rienner Publishers.
- (31) Butler, J. (2005). Giving an account of oneself. Fordham University Press.